تعليقات الشيخ صالح بن عبداللّه العُصَيْمِي

على ثلاثة الأصول وأدلتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعلمْ –رحمكَ اللهُ– أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ :
الأُولى : العلْمُ ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ ، ومعرفةُ نبيهِ ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ .
الثانيةُ : العملُ به .
الثالثةُ : الدعوةُ إليه .
الرابعةُ : الصبرُ علَى الأَذى فيه .

والدليلُ قولُه تعالَى : بسم الله الرحمـن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3) ﴾[العصر] .

قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى : « لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلاَّ هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ» .

وقال البخاريُّ رحمَهُ اللهُ تعالى : « بابٌ : العلمُ قبلَ القولِ والعملِ ، والدليلُ قولُه تعالَى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد :19] . فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ» .

📌ابتدأ المصنّف رحمه الله رسالته بالبسملة مقتصرًا عليها ؛ إتّباعا للوارد في السنة النبوية في مكاتباته ورسائله ﷺ إلى الملوك ، والتصانيف تجري مجراها .

📌ثم ذكر أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :
1️⃣ 🔷 فالمسألة الأولى : العلم .
2️⃣ 🔷 والمسألة الثانية : العمل به .
3️⃣ 🔷 والمسألة الثالثة : الدعوة إليه .
4️⃣ 🔷 والمسألة الرابعة : الصبر على الأذى فيه .

1 🔷 فالمسألة الأولى : العلم .

📌 والعلم شرعًا : إدراكُ خطابِ الشرع ، ومردُّه إلى المعارفِ الثلاثِ : معرفة الله رَبًّا ، والإسلامِ دينًا ، ومحمّدٍ ﷺ نبيًّا رسولاً .

🔷 العلم المأمورُ بطلبه شرعًا له وصفان :

1 ما يُطلب منه ؛ وهي المعارف الثلاث : معرفة العبدِ ربَّه ودينَه ونبيَّه ، فهذه هي علوم الشرع .

2 ما يُطلب فيه ؛ وهو اقترانُه بالأدلَّة ، فتكونُ تلك المعرفة علمًا حالَ اقترانها بالأدلَّة .

🔶 معرفة الشرع المأمورُ بها نوعان :

1 المعرفة الإجماليّة : وهي معرفة أصولِ الشرع وكليّاته ، وهذه واجبةٌ على الخلق كافةً .

2 المعرفة التفصيليّة : وهي معرفة تفاصيل الشرع وجزئيّاته ، وهي تتعلق ببعض الخلق لا بِهم جميعًا ؛ كالحُكم أو القضاء أو الإفتاء أو التدريس .

2 🔷 والمسألة الثانية : العمل به .

📌 والعمل شرعًا : هو ظهورُ صورةِ خطاب الشرع على العبد .

🖋️ وخطاب الشرع نوعان :

1 خطاب الشرع الخبري . 📎 وظهورُ صورته بامتثالِ التصديق إثباتًا ونفيًا .

2 خطاب الشرع الطلبي . 📎 وظهورُ صورته بامتثالِ الأمر والنهي واعتقادِ حلِّ الحلالِ .

3 🔷 والمسألة الثالثة : الدعوةُ إليه .

📌 المراد بالدعوة إلى العلم : الدعوة إلى الله ؛ لأن العلم شرعًا مُشتمل على المعارف الثلاث التي تقدمت .

📎 فالداعي إلى العلم يدعو إلى الله أصالةً ، وإلى النبي ﷺ ودين الإسلام تبعًا .

📌 الدعوة إلى الله شرعًا : هي طلب الناس كافة إلى اتباع سبيل الله على بصيرة .

4 🔷 والمسألة الرابعة : الصبرُ على الأذى فيه .

📌 الصبرُ على الأذى فيه ، أي في العلم . ويكون تعلُّمًا وعملاً ودعوةً .

💎 الصبر شرعًا : حبسُ النفس على حُكم الله .

💠 وحُكم الله نوعان :

1 حكم الله القدَري .

2 حكم الله الشرعي .

💎 يجتمع في الصبر على العلم النوعان معاً ؛

🔶 فإنّك تصبر فيه على حُكم الله الشرعي لأنه مأمورٌ بطَلبِه .

🔶 وتصبر فيه على حُكم الله القدَري لِما تُلاقيه منْ أذًى في طلبه .

✒️ منشأُ وجوبِ المسائل الأربع من سورة العصر ،
وأنَّ النجاة في الدنيا والآخرة موقوفةٌ عليها ، فلا ينجو العبدُ من الخسارة إلا بها .

🕰️ اسم العصر في القرآن والسنة عند الإطلاق يُراد به الوقت الكائن آخرَ النهار .

📖 ويقع اسم العصر في كلام العرب على معانٍ أخرى .

🔻 ومن قواعد فهمِ خطاب الشرع

👈 * مراعاة لُغته* ، ذَكره ابن تيميةَ الحفيدُ وصاحبُه أبو عبد الله ابنُ القيِّم والشاطبيُّ في المُوافقات .

📌 فأقسم الله بالعصر أنّ جنس الإنسان في خَسارٍ إلا أولئك المتصفون بالصفات الأربع المذكورة بالآيات ،

🔷 فدليلُ العلم في قوله تعالى : (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا) ؛ فوصف الناجين بالإيمان .

📎 ولا إيمانَ إلاّ بعلمٍ ؛ فإنَّ تحصيلَ أصْلِ الإيمان وكماله لا يكون إلاّ بالعلم .

🔷 ودليلُ العمل في قوله تعالى : (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) .

📎 ولا يُراد منّا جنسُ العمل بل يراد عملٌ مخصوصٌ ، وهو العمل الصالحُ الواقعُ خالصًا لله متابَعًا فيه هَديَ النبي ﷺ .

🔷 ودليلُ الدعوة إلى الله قوله تعالى : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) .

📎 فيَأمُر بعضهم بعضًا بالخير ، وينهى بعضهم بعضًا عن الشر ، وهذه هي حقيقةُ الدعوة إلى الله .

🔷 ودليلُ الصبر قوله تعالى : (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) .

📌 الحقّ : اسمٌ لما وجَبَ ولزِم ، وأعلاه ما لزِم بطَريقِ الشرع .

📌 والتواصيّ : تفاعلٌ بالوصيّة بين اثنين فأكثر ؛ بأن يَأمُرَ بعضهم بعضًا بالخير ، وينهى بعضهم بعضًا عن الشر .

✒️ قال الشافعيُّ : (هَذِهِ السُّورَةُ لَو مَا أَنزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلقِهِ إلاَّ هِيَ لَكَفَتهُم) ،

👈 أي لَكفتهم في قيام الحُجّة عليهم ، بوجوب امتثال حُكم الله ،

📎 ذكره جماعةٌ منهم : ابن تيميةَ الحفيدُ وعبدُ اللّطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ وعبدُ العزيز بن باز رحمهم الله .

🔻 ولَم يُرِد بها وَفاءَ سورة العصر في بيانِ جميع أحكام الديانة .

✒️ زاد المصنّف (قَبلَ القَولِ وَالعَمَلِ) تفسيراً لمُراد البخاريّ بأنّه يُريد بتقديمِ العلم أن يكون بين يدي القول والعمل .

🔶 الأمر بالعلم في قوله : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) 🔶 والأمرُ بالقول والعمل في قوله : (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) ؛

📎 فإنّ الاستغفارَ : طلبُ التوبة مع دُعاء المغفرة . والتوبةُ يَندرجُ فيها كلُّ القول والعملِ ، أفاده ابن رجب .

👈 واستنبط هذا المعنى قبل البخاريّ شيخُ شيوخه سفيانُ بن عُيَيْنَة ، رواه أبو نُعَيم الأصبهاني في كتاب (حِلْيَة الأَولياء) وذكَره بعد البخاريّ الغافقيُّ في مُسند الموطأ ، فبوّب (بَابُ العِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) .

اعلمْ رحمكَ اللهُ : أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ ثلاث هذه المسائل والعملُ بهنَّ :
الأولى : أنَّ اللهَ خلَقنا ورزَقَنا ولم يتركْنا هملاً ؛ بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ . والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل :15-16] .

الثانية : أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا نبيٌّ مُرْسَل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا غيرهما ، والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن :18] .

الثالثة : أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريب . والدليلُ قوله تَعالى : ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة :22] .

🖊 مقصود المسائل الثلاث :

1️⃣ وجوبُ طاعة الرسولِ ﷺ .

2️⃣ إبطالُ الشرْك في العبادة وإحقاقُ التوحيد لله .

📎 والنهيُ عن دعوة غيرِ الله دليلٌ على وُجوب عبادة الله ؛
فإنّ اسمَ الدعاءِ يُطلق في خطاب الشرع ويُراد به العبادة كلُّها .

3️⃣ بيانُ وجوبِ البراءة من المشركين ؛ لأن الأمرين المذكورَين في المسألتين الأُولَيين ، وهما طاعةُ الرسول وإبطالُ الشرْكِ بتوحيدِ الله وحدَه ، لا يتحقّقان إلا بالبراءة من المشركين .

🔻 فلا يجتمع الإيمان الناشئ من طاعة الرسول وتوحيد الله مع محبّة المشركين أعداءِ الله ورسوله ﷺ .

✔️ ومعنى قوله : {مَن حادَّ اللهَّ وَرَسولَهُ} : أي من كان في حدٍّ غيرِ حدِّ الله ورسولِه ؛ فالمؤمنون في حدّ الله ورسوله ﷺ ، والمشركون بائنون عن حد الله وحد رسولِه ﷺ ، ولمّا امتازوا عن المؤمنين في حدِّهم لمْ يكن بينهم وبين المؤمنين

👈إلا البراءة من دينهم الذي هم عليه .

اعلَمْ -أرشدَكَ اللهُ لطاعته- أنَّ الحنيفيةَ : ملَّةَ إبراهيمَ ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين ، وبذلك أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات :56] ، ومعنى ﴿يَعْبُدُونِ﴾ يوحدون ، وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو : إفرادُ الله بالعبادة .
وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ ؛ وهو دعوةُ غيرِه معهُ ،
والدليل قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء :36] .

📌للحنيفيّة في الشرع معنَيين :

1. عامٌّ : وهو الإسلام .
2. خاصٌّ : وهو الإقبال على الله بالتوحيد ، ولازمه الميلُ عن الشرك بالبراءة منه .

📎 والمذكور في قول المصنّف : (أن تَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ مُخلِصًا لَهُ الدِّين) هو مقصود الحنيفية ، ولُبُّها المحقِّق للمعنيين المذكورين .

🖋 الملّة الحنيفيّة تُنسب في القرآن إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام .
واتفق نسبتها إليه لأمورٍ ثلاثة :

1. أنّ من بُعث فيهم نبيّنا ﷺ يذكرون أنّهم من ذريّة إبراهيم ، ويزعُمون أنّهم على إرثٍ من دينه ، فأجدرُ بهم أن يكونوا حنفاءَ لله غيرَ مشركين به كأبيهم .
2. أن الله جعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إماماً لمن بعده من الأنبياء بخلاف سابقيه منهم (ذكره ابن جرير في تفسيره) .
3. أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أكمل الخلق في تحقيق التوحيد ، حتّى رَقى إلى مرتبة الخُلّة ، وشاركه نبيُّنا ﷺ فيها ، وإبراهيمُ والدٌ ونبيُّنا ولدٌ ، فالنسبة إلى الوالد أكمل من النسبة إلى الولد .

💎 عبادة الله لها معنيان في الشرع :

1. معنى عامٌّ : وهو امتثالُ خطاب الشرع المقترنُ بالحُبّ والخضوع .
2. خاصٌّ : وهو التوحيد .

🖋 في قوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) دليلٌ أن الناس جميعًا :

🔶 مأمورون بعبادة الله التي هي مقصود الحنيفيّة .
🔶 ومخلوقون لأجلها .

📎 ودِلالةُ الآية على المسألتين من جهتين :

1. صريحُ نصِّها المبينٌ أنّنا مخلوقون للعبادة .
2. لازمُ لفظِها المبينٌ أنّنا مأمورون بالعبادة ؛ فإنّ ما خُلقنا لأجله لا يتحقّقُ إلا بأمرنا به .

📎 ولا يُنكر أحدٌ من المسلمين : أن الجنّ والإنس مخلوقون لعبادة الله ومأمورون بها .

📌 تفسير المصنّف (يَعبُدُون) بقوله : (يُوَحِّدُون) له وجهان :

1️⃣ أنه من تفسير اللفظ بأخصِّ أفراده ؛ فإنّ التوحيد أعظمُ العبادة .

2️⃣ أنه من تفسير اللفظ بما وُضع له شرعًا ؛ فإنّ العبادة في لغة الشرع يُراد بها التوحيد

📎 قال ابن عباس : (كُلُّ مَا وَرَدَ فِي القُرآنِ مِنَ العِبَادَة فَمَعنَاهُ التوحيدُ) ذكرَه البغويُّ في تفسيره .

💠 التوحيد له معنيان شرعًا :

1️⃣ عامٌّ : وهو إفراد الله بحقِّه ،وحقُّ الله نوعان : 🔷 حقٌّ في المعرفة والإثبات .

🔷 وحقٌّ في الإرادة والقصدِ والطلب .

📎 ويَنشأُ من هذين الحقَّين توحيدُ الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

2️⃣ معنى خاص : وهو إفراد الله بالعبادة ، وهذا المعنى هو المعهود شرعا ؛ فإنّ اسم التوحيد إذا أُطلق في خطاب الشرع يراد به توحيد العبادة ؛ 📎 قال جابر في نعت حجة النبي ﷺ (فَأَهلَّ بِالتوحيدِ) رواه مسلم .

✒️ الشرك يطلق في الشرع على معنيين :

1️⃣ عامٌّ : وهو جعلُ شيء من حقِّ الله لِغيره .

2️⃣ خاصٌّ : وهو جعلُ شيء من العبادة لغير الله .

📎 والمراد شرعاً عند إطلاق الشرك هو الخاص ؛ فإن اسم الشرك شرعاً يُراد به الشركُ في العبادة .

✒️ تصدير الآية بقوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ) دالٌّ على أنّ أعظمَ مأمورٍ به هو التوحيد ، وأعظمَ منهيٍّ عنه هو الشرك . 📎 وهذه الأعظمية مستفادةٌ من وجهين :

1️⃣ ابتداءُ تلك الحقوق المعظَّمة بالأمرِ بالتوحيد والنهيِ عن الشرك .

2️⃣ عطفُ ما بَعدها عليها ، ولا يُبدأ إلاّ بالأهم .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟ فقُلْ : معرفةُ العبدِ ربَّهُ ، ودينَهُ ، ونبيَّهُ محمداً ﷺ .

فإذا قيلَ لكَ : مَنْ ربُّكَ؟ فقلْ : ربيَّ اللهُ الذي ربّاني وربَّى جميعَ العالمينَ بنعمته ، وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ ، والدليلُ قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكلُّ ما سوى اللهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ .

فإذَا قيلَ لكَ : بِمَ عرفتَ ربَّكَ؟ فقُل : بآياتِه ومخلوقاتِه ؛ ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ ، ومِنْ مخلوقاتِه السماواتُ السَّبْعُ ومَنْ فيهنَّ والأَرْضُونَ السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما .

والدليلُ قولُه تَعَالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر :57] ،
وقولُه تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[فصلت :37] ،

وقولُه تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف :54] .

والرَّبُّ هو المعبودُ ، والدليلُ قولُه تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :21-22] ،

قالَ ابنُ كثيرٍ - رحِمَهُ اللهُ تعالى - : الخالقُ لهذهِ الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ .

💎 لا يمكن القيامُ بالعبادة إلا بمعرفة ثلاثة أمور :

1️⃣ معرفة المعبود الذي تُجعل له العبادة .

2️⃣ معرفة المبلِّغ عنه .

3️⃣ معرفة صفة هذه العبادة التي تُجعل له .

🔶 فالأمر الأوّل يتعلّق به معرفة الله ،

🔶 والأمر الثاني يتعلّق به معرفة الرسول ﷺ ،

🔶 والأمر الثالث يتعلّق به معرفة الدين .

✒️ منشأُ الأصول الثلاثة علماً وعملاً وتحقُّقاً ودعوةً مردُّه إلى الأمر بالعبادة .

📎 وادعاءُ من يدَّعي بأن هٰذه الأصول الثلاثة هي مِن المصنّف وَضعًا ، جهالةٌ بالغة تنادي على صاحبها بالفضيحة في العلم ؛ إذ العبادة التي أُمرنا بها في القرآن والسنة لا تتحقّق إلا بمعرفة هٰذه الأصول الثلاثة ، فهي منتظمةٌ في الأمر بالعبادة .

📌 الربّ هو الله ، وربوبيته من تربيته الخلقَ بنِعَمه الظاهرة والباطنة .

💎 وإذا تقرّر هذا ، فإنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده .

✒️ أصول معرفة الله الواجبة أربعة :

1️⃣ معرفة وُجودِه ؛ بأن يؤمن العبدُ بأنه موجود .

2️⃣ معرفة ربوبيته ؛ بأن يؤمن العبد بأنه ربّ كل شيء .

3️⃣ معرفة ألوهيته ؛ بأن يؤمن العبد بأنّ الله هو المستحقّ للعبادة وحدَه .

4️⃣ معرفة أسمائه وصفاته ؛ بأن يؤمن العبد بأن لله أسماءً حسنى وصفاتٍ عُلا .

📎 وهذا قدرٌ يتعينّ على كلِّ أحدٍ ، وما زاد عليه فالناس يتفاضلون فيه .

🔷 الموجودات سوى الله من المخلوقات نوعان :

1️⃣ الأفراد المتجانسة ، أي المشتركة في جنس واحد ، وتسمى عالَمًا .

2️⃣ الأفراد التي لا نظيرَ لها من جنسها ، كالعرش والكرسي الإلهيَين ، والجنة والنار اللتَين هما دار الثواب بالحسنى أو الجزاء بالسوء .

📎 فاسم العالمين يراد به أصناف الخلائق ، قاله العُليمي في تفسيره ، أي المخلوقات المصنَّفة أجناسا .

🔻 ولا يصحُّ تفسيره بأن كلَّ ما سوى الله عالمٌ ، لأنه اصطلاحٌ حادث والقرآن لا يُفسّر بالمصطلح الحادث ، ذَكره ابن تيمية الحفيد والشاطبي رحمهما الله .

✒️ الدليل المرشد إلى معرفة الله شيئان : 🔶 التفكّر في آياته الكونية .

🔶 التدبّر في آياته الشرعية .

✒️ والعطف في قول المصنف : (بِآيَاتِه وَمَخلُوقَاتِه) من عطف الخاص على العام ، لأن المخلوقات بعضُ الآيات ؛

📎 والآيات نوعان : 🔶 الآيات الكونية ، وهي المخلوقات .

🔶 الآيات الشرعية ، وهي ما أنزله الله من الكتب .

✍️ الأدلة التي ساقها المصنّف في معرفة الرّب تُقوّي إرادتَه الآياتِ الكونية .

📎 ووجهُ تخصيصِها بالذِّكر أمران :

1️⃣ 🔷 أن دلالةَ الآيات الكونية على الربوبية أظهرُ وأجلى ، لأنها طريقُ الإقرارِ بالألوهية ؛ فإن العبدَ إذا أقرّ بالله ربًا أقرّ به معبودًا مألوهًا .

2️⃣ 🔷 عمومُ معرفة الآيات الكونية ؛ فيشترك فيها المؤمن والكافر والبَرّ والفاجر .

✍️ الحاملُ للمصنفِ على التفريق موافقة غالب السياق القرآني ؛

🔶 فإنّ الليل والنهار والشمس والقمر أكثرُ ما يُذكرن به هو اسم الآيات ،

🔶 والسماوات السبع والأرضين السبع أكثرُ ما يُذكرن به اسم المخلوقات .

🔷 أصل (الآية) في كلام العرب : العلامة ، والليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ علامات يتناوبن ويظهَرن بجلاء .

🔷 وأصل (الخلق) في كلام العرب : التقدير ، والسماوات والأرض مقدراتٌ على هٰذه الصورة لا تتغير بحال .

✅ (وَالرَّبُّ هُوَ : المَعبُودُ) أي الربّ هو المستحقّ للعبادة .

🔻 وليس المراد أن من معاني الرب : المعبود ،

☑️ لكن مقصوده : بيان أن من ثبت الإقرارُ والتصديقُ بكونه ربًا ، وجبَ على العبد الإقرارُ والتصديق بكونه معبوداً مألوهاً .

وأنواعُ العبادة التي أَمَرَ اللهُ بها : مثلُ الإسلام ، والإيمان ، والإحسان ؛ ومنهُ الدعاءُ ، والخوفُ ، والرجاءُ ، والتوكلُ ، والرغبةُ ، والرهبةُ ، والخشوعُ ، والخَشيةُ ، والإنابةُ ، والاستعانةُ ، والاستعاذةُ ، والاستغاثةُ ، والذَّبحُ ، والنذرُ ، وغيرُ ذلك من أنواع العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها =كلُّها لله تعالى .

والدليلُ قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن :18] .

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ .

والدليلُ قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون :117] .

وفي الحديث : « الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة» .

والدليلُ قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر :60] .

ودليلُ الخوف قوله تعالى :﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران :175] .

ودليلُ الرَّجاء قوله تعالى :﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف :110] .

ودليلُ التَّوكُّل قوله تعالى :﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة :23] ، وقوله :﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق :3] .

ودليلُ الرَّغْبَة والرَّهبَة والخُشوع قولُه تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء :90] .

ودليلُ الخَشية قوله تعالى : ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[البقرة :150] .

ودليل الإنابة قوله تعالى : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر :54] .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة :5] ، وفي الحديث : «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» .

ودليل الاستعاذة قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق :1] ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس :1] .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال :9] .

ودليل الذَّبح قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام :162-163] ، ومن السُّنَّة : «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ» .

ودليلُ النَّذْر قوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان :7] .

📌 ذكر المصنف أنواعاً من العبادة المأمور بها إجمالاً وتفصيلاً ، فإجمالُها

👈 في الإسلام والإيمان والإحسان ، وتفصيلُها

👈 في الدعاء والخوف والرجاء والتوكل إلى آخر ما عدّه .

ثم بيّن أن تلك الأنواع جميعاً هي لله وحدَه ، والدليل قوله تعالى :(وَأَنَّ المَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدعوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)[الجن :١٨] ،

💎 ودلالة الآية على ذلك من وجهين :

1️⃣ أحدهما : في قوله :(وَأَنَّ المَساجِدَ لِلَّهِ) ؛ وعُظمُ المذكور في تفسير هٰذه الآية أن الإجلالَ والإكبارَ والإعظامَ كائنٌ لله وحده لا شريك له .

2️⃣ والآخر : في قوله : (فَلا تَدعوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ، أي لا تعبدوا مع الله أحداً ؛ والنهيُ عن عبادة غيره يقتضي الأمرَ بعبادته وحدَه ؛ 👈 فمعنى الآية : اعبدوا الله ولا تعبدوا معه أحداً .

📌ثم ذكر المصنف أنّ من صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله فهو [مشرك كافر] ، واستدلّ بقوله تعالى : (وَمَن يَدعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ)[المؤمنون :١١٧] الآية ،

💎ووجه الدلالة منها مركّبٌ من أمرين :

1️⃣ أحدهما : ذِكرُ فعلٍ متوعدٍ عليه في قوله : (وَمَن يَدعُ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ) .

2️⃣ والآخر : تهديدُه بالحساب مع بيان المَآل في قوله : (فَإِنَّما حِسابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرونَ) ،

فجعلَه كافرا بما اقترف من دُعاء غير الله عزوجل وهو الوقوعُ في الشرك ؛ فإن الكفر يكون بالشرك وبغيره .

✅شرع المصنف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- يورد أنواعاً من العبادة ، فذكر أربع عشرة عبادة يُتقرب بها إلى الله ، فابتدأ بالدعاء .

1️⃣💎 فالعبادة الأولى : الدعاء . 📌 والدعاءُ في الشرع له معنيان :

🔷 معنى عامّ : وهو امتثال خطاب الشرع المقترنُ بالحُبّ والخضوع ، ويندرج فيه جميع أنواعها ، ويسمّى دعاءَ العبادة .

🔷 خاصّ : وهو طلب العبد من ربّه حصولَ ما ينفعُه ودوامَه ودفعَ ما يضرّه ورفعَه ، ويسمّى دعاء المسألة .

2️⃣💎 والعبادة الثانية : هي الخوف . 📌 الخوف من الله شرعاً : فِرارُ القلب إلى الله ذُعراً وفزعاً .

3️⃣💎 والعبادة الثالثة : هي الرجاء . 📌 رجاء الله شرعاً هو : أملُ العبد بربه في حصول المقصود مع بذل الجهد وحُسن التوكّل .

4️⃣💎 والعبادة الرابعة : هي التوكّل . 📌 التوكّل على الله شرعاً هو : إظهار العبد عجزَه لله واعتمادُه عليه .

📎 وفعل الأسباب شرطٌ للتوكّل ، وشرط الشيء ليس من حقيقته ، كالقول في حقيقة الصلاة وشروطها .

5️⃣💎 والعبادة الخامسة : هي الرغبة .

📌 الرغبة إلى الله شرعاً هي : إرادة مرضاة الله في الوصول إلى المقصود محبة له ورجاء .

6️⃣💎 والعبادة السادسة : هي الرهبة .

📌 والرهبة من الله شرعاً : فرار قلب العبد إلى الله فزعا وذُعرا مع عملِ ما يُرضيه .

7️⃣💎 والعبادة السابعة : هي الخشوع .

📌 والخشوع لله شرعاً : فرار القلب إلى الله ذعراً وفزعاً مع الخضوع له .

8️⃣💎 والعبادة الثامنة : هي الخشية .

📌 والخشية من الله شرعاً : فرار القلب إلى الله ذعراً وفزعاً مع العلم به وبأمره .

9️⃣💎 والعبادة التاسعة : هي الإنابة .

📌 الإنابة شرعاً : هي رجوع القلب إلى الله محبةً وخوفاً ورجاءً .

10💎 والعبادة العاشرة : هي الاستعانة .

📌 الاستعانة بالله شرعاً : هي طلب العبد العونَ من الله في الوصول إلى المقصود ، والعونُ هو المساعدة .

11💎 والعبادة الحادية عشرة : هي الاستعاذة .

📌 الاستعاذة بالله شرعاً : هي طلب العوذِ من الله عند وُرودِ المخوِّف ، والعوذ هو الالتجاء والاعتصام .

12💎 والعبادة الثانية عشرة : هي الاستغاثة .

📌 الاستغاثة بالله شرعاً : هي طلب الغوثِ من الله عند وُرود الضرر ، والغوث : المساعدة في الشدة .

13💎 والعبادة الثالثة عشرة : هي الذبح .

📌 الذبح لله شرعاً : هو قطع الحلقوم والمريء من بهيمة الأنعام تقرّباً إلى الله على صفة معلومة .

📎 وتفسيره بسفك الدم هو من تفسير اللفظ بلازمه ؛ إذ الدم قد يُسفك مسترسِلا من بهيمة الأنعام وغيرها ولا يكون مع ذلك عند العرب ذبحاً .

📎 ومن ذبح لغير الله شيئاً لا يُتقرّب إلى الله بذبحِه = كفرَ ، ولو تقرّب بذبح دجاجة ؛ لإرادته الكفرَ بالتقرب إلى غير الله سبحانه وتعالى .

🔘 وقد نتعبد لله بعبادة لا يصحّ أن نتعبد بأفراد منها

📎 مثل الركوع في غير صلاة ؛ فالركوع في غير صلاة لا يُتقرب لله به وإنّما يُتقرب به في الصلاة ،

📎 ومثله أيضا السعي بين الصفا والمروة ؛ فإنه لا يتقرب لله به إلا في نُسُك كعمرة أو حج ،

📎 وكذلك الذبح لا يتقرب إلى الله بجميع أفراده بأي مذبوح منه ؛ بل يَختصّ التقرب 👈 ببهيمة الأنعام من إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ ، فلو تقرب إلى الله بذبح دجاجة لم تقعْ هٰذه العبادة لأنها ليست هي المرادة شرعاً ، فيكونُ ذبحُه لله مُثاباً عليه من جهة أخرى وهي الانتفاع بلحم الدجاج أو غيره .

14💎 والعبادة الرابعة عشرة : هي النذر . 📌 النذر لله شرعاً له معنيان :

1 أحدهما عامّ : وهو إلزام العبد نفسَه لله امتثال خطاب الشرع أي الالتزام بدين الإسلام كله .

2 والآخر خاصّ : وهو إلزام العبد نفسَه لله تعالى نفلاً مُعَيَّنًا غيرَ مُعلّق .

💠 فتتحقّق عبادة النذر باجتماع ثلاثة أوصاف :

1️⃣ أحدها : أن يكون المنذور [نفلاً] لأن الفرض لازِم بنفسه ؛ فنذر صلاة العشاء عبث ، فالعشاء لازمة بلا نذر .

2️⃣ وثانيها : كونُه [مُعيَّناً] أي مُبيَّناً ، فلو أطلق لم يكن فيه وفاء بل فيه كفارة نذْر ؛ فلو قال لله عليّ نذرٌ ولم يبيِّنه لم يَلزمه إلا كفارة النذر .

3️⃣ وثالثها : كونه [غير معلّق] ، أي على غير وجهِ المجُازاة في الاستحقاق ؛ بأن لا يجعلَه في مُقابل نِعمة ، فيقول مثلا : لله علي صيام ثلاثة أيام ، فمتى قيّدها بالمقابلة فقال : لله علي صيام ثلاثة أيام إن شفى مريضي ، خرج عن هٰذا الوصف .

📌 فالنذر الممدوح شرعاً من المعنى الخاص هو النذرُ الجامع هٰذه الأوصاف الثلاثة ، وهذا هو الحدّ الفارقُ بين النذر الذي يكون عبادة وبين غيره من النذر الذي لا يكون عبادة ممدوحة .

الأصلُ الثَّاني : معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلة

وهو الاستسلامُ لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة منَ الشرِّكِ وأهله .

وهو ثلاثُ مراتبَ : الإسلامُ ، والإيمانُ ، والإحسانُ .

وكلُّ مرتبة لها أركانٌ ؛ فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ ، والدليلُ منَ السُّنَّة حَديثُ ابنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُما– قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شهادةُ أنْ لا إلـه إلاّ اللهُ ، وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وصومُ رمضانَ ، وحج البيت » .

والدليلُ قوله تعالى : ﴿ إنَّ الدين عندَ اللهّ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران :19] ، وقولُه تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخَاسرِينَ ﴾ [آل عمران :85]

ودليلُ الشّهادة قولُه تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائمًا بِالْقسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران : 18] ، ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده ؛ (لا إلـه) : نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دون الله ، (إلا الله) : مُثْبتًا العبادةَ لله وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادته ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكه .

وتفسيرُها الذي يوضِّحُها : قولُه تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف : 26–27] ، وقولُه تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران :64] .

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ الله قولُه تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة :128] .

ومعنى شهادةِ أنَّ محمداً رسولِ الله :طاعتُهُ فيما أمَرَ ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ ، واجتنابُ ما عنْهُ نهى وزجَرَ ، وأنْ لا يُعبدَ اللهُ إلاَّ بما شَرَعَ .

ودليلُ الصلاة والزكاة ، وتفسيرُ التَّوحيد قولُه تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة :5] .

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة :183] .

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى : ﴿وَللهِّ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران :97] .

🖊 الدّين يُطلق في الشرع على معنَيين :

1 معنى عامٌ : وهو ما أنزلَه الله على الأنبياء لِتحقيقِ عبادته .

2 معنى خاصٌ : وهو التّوحيد .

✒️ الإسلام الشرعيُّ له إطلاقان :

1️⃣ عامٌ : وهو : 🔶 الاستسلام لله بالتوحيد ، وهذا هو الأصل .

🔶 والانقيادُ له بالطاعة والبراءةُ والخُلوصُ من الشِّرك وأهله ، وهذا بمنزلة التابع اللازم .

وأُفصح عن الجملتين الأخيرتين لشدّة الحاجة إليهما وكثرة الجهل بهما .

2️⃣ خاصٌ : وله معنيان أيضا :

🔷 الدّين الذي بُعث به محمّد ﷺ .

📎 وحقيقة الإسلام هنا شرعًا : استسلام العبد باطنًا وظاهرًا لله تَعبُّدًا لَه بالشرع المُنَزَّل على محمدٍ ﷺ على مَقام المُشاهدة أو المُراقبة ، فيندرجُ فيه المعاني الخاصّة للإسلام والإيمان والإحسان .

🔷 الأعمالُ الظّاهرة ، وهذا هو المراد إذا قُرن الإسلام بالإيمان والإحسان .

✒️ الإسلام الذي بُعث به محمّدٌ ﷺ له ثلاث مراتب :

1️⃣ مرتبة الأعمال الظّاهرة ، وتُسمّى إسلامًا .

2️⃣ مرتبة الاعتقادات الباطنة ، وتُسمّى إيمانًا .

3️⃣ مرتبة إتقانِهما ، وتُسمّى إحسانًا .

💎 من أهمِّ مُهمّات الديانة : معرفةُ ما يجب عليك في إسلامك وإيمانك وإحسانك ،

والواجب منها يرجع إلى ثلاثة أصول :

1️⃣ الاعتقاد ، والواجبُ فيه كونُه موافقًا للحقّ في نفسه ، وجماعُه أصولُ الإيمان الستّة .

2️⃣ الفعل ، والواجبُ فيه موافقةُ حَركات العبد الاختيارية باطنًا وظاهرًا للشرع أمرًا وحلاً .

3️⃣ التَرك ، والواجب فيه موافقةُ تركِ العبد واجتنابِه مرضاةَ الله ، وجماعُه المحرّمات الخمس التي اتّفقت عليها الأنبياء ، وهي : 🔻 الفواحش 🔻 والإثم 🔻 والبغي بغير الحق 🔻 والشّرك 🔻 والقول على الله بغير علم وما اتّصل بهن ورجع إليهن .

✒️ فعل العبد نوعان :

🔷 فعله مع ربه ، وجماعُه شرائعُ الإسلام اللازمةُ له ، كالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ وتوابعِها من الأركان والشروط والواجبات والمُبطلات .

🔷 فعله مع غيره من الخلق ، وجماعُه أحكامُ المُعاشرة والمُعاملة معهم كافّةً ممّا وَرَد به الشرع .

🔘 تفصيلُ ما يجب من هذه الأصول الثلاثة :

الاعتقاد والفعل والترك ، لا يمكن ضبطه لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب ، ذَكره أبو عبد الله ابن القيّم في (مفتاح دار السعادة) .

وهذه المسألة من أجلّ ما يُنبّه به عند بيان الدين .

📌 أركان الإسلام خمسة :

1️⃣ شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ . 📎 فالشّهادة الركن هي الشّهادة لله بالتوحيد ولمحمّدٍ ﷺ بالرّسالة .

2️⃣ الصّلاة . 📎 والصّلاة الركن هي الصّلاة المكتوبة في اليوم والليلة ؛ وهي الصّلوات الخمس .

3️⃣ الزّكاة . 📎 والزّكاة الركن هي الزّكاة المُعَيَّنة في الأموال .

4️⃣ الصّوم . 📎 والصّوم الركن هو صوم شهرِ رمضانَ في كلِّ سنة .

5️⃣ الحجّ . 📎 والحجّ الركن هو حجّ الفرْضِ إلى بيت الله الحرام مرّةً في العُمر .

💎 فما خرجَ عمّا ذُكر ممّا يرجعُ إلى واحد من المعاني المتقدّمة فإنّه ليس من حقيقة الرّكن وإنْ كان واجبًا .

💡 اقتصرَ المصنِّف على بيان حقيقة الركن الأوّل ببيانِ معنى الشهادتين ؛

▫️ لشدّة الحاجة إليهما ، ▫️ وكثرة وقوع الناس فيما يخالفهما .

🖋️ قول المصنِّف : (وَأَن لاَ يُعبَدَ اللهُ إلاَّ بِمَا شَرَعَ) يعُود الضميرُ المُستتر فيه إلى الله ؛ لأنّ الشرع حقٌّ لله وحدَه ، واطّرادُ ذلك في خطاب الشرع دليلٌ على إرادة معناه .

📎 وفي كلام السلف : فَرَضَ رسولُ الله ﷺ وسَنَّ رسولُ الله ﷺ ، ولم يقولوا : شرعَ رسولُ الله ﷺ .

🔷 فالشرع : وضعُ الدّين ،

🔷 والفرض والسَّنّ : بيانُ ذلك الشرع ، فوضعُ الشرعِ مختصٌّ بالله وللنّبي ﷺ البلاغُ والبيانُ .

🔲 الشرع لا يُنسب للنبي ﷺ لأمرين :

1️⃣ اطّرادُ نسبتِه في خطاب الشرع في القرآن والسنة إلى الله عز وجل وحدَه .

2️⃣ فقْدُ هذا التعبيرِ من كلام الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، والعلم الذي كان عليه الأوّلون لا يُعدل به علمُ أحدٍ من المتأخّرين .

📎 والعلمَ منه بيانٌ ومنه سكوتٌ ، وهو الذي يسمّيه الفقهاء بالتلقي .

المرتبة الثانية : الإيمان

وهو بضعٌ وسبعونَ شُعْبَةً ، أعلاها قولُ لا إلـه إلاّ اللهُ ، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريق ، والحياءُ شعبةٌ منَ الإيمان .

وأركانُهُ ستَّة : أنْ تؤمنَ باللهِ ، وملائكَته ، وكتبه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ، وبالقَدَرِ خيره وشره ، كُلُّهُ منَ اللهِ .

والدليلُ على هذه الأركان الستَّة قولُه تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة :177] .

ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر :49] .

✒️ الإيمان له في الشرع معنيان :

1️⃣ عامٌ : وهو الدّين الذي بُعث به محمّد ﷺ .

📎 وحقيقته شرعًا : التصديقُ الجازم باللهِ باطنًا وظاهرًا تعبُّدًا له بالشرع المُنزَّل على محمّد ﷺ على مَقام المُشاهدة أو المراقبة ، ويندرج فيه الإسلام والإحسان ، فيقعُ اسمًا للدين كلِّه .

2️⃣ خاصٌ : وهو الاعتقادات الباطنة ، وهذا المعنى هو المقصود إذا قُرن الإيمانُ بالإسلام والإحسان .

📌 وشُعب الإيمان : هي خِصاله وأجزاؤه الجامعةُ له .

💠 واختُلف في عدد شعب الإيمان لاختلاف لفظ الحديث الوارد في الصحيحين فيها ؛

🔹 فلفظُ البخاري : (بِضعٌ وستُّون شُعبةً)

🔹 ولفظُ مسلم : (بضعٌ وسَبعون شُعبةً)

🔹 وعند مسلم لفظٌ آخر على الشكِّ : (بضعٌ وستُّون أو وسبعون شُعبةً)

☑️ وأصحُّ هذه الألفاظ روايةُ البخاري : (بضعٌ وستُّون شُعبةً) .

💎 وأركان الإيمان ستّةٌ : وهي 1️⃣ أن تؤمن بالله 2️⃣ وملائكته 3️⃣ وكتبه 4️⃣ ورسله 5️⃣ واليوم الآخر 6️⃣ والقدَر خيرِه وشرِّه .

📌 واستقراءُ أدلّة الشرع يُفيد أنّ من أركان الإيمان قدراً يجب على العبد تعلّمه ؛ فلا يصحّ إيمانُه إلا به .

✅ عمود الأقدار المجزئة من أركان الإيمان ممّا لا يصحّ إيمان العبد إلا به ، ما يتعلق :

1️⃣ بالإيمان بالله : هو الإيمان بوجوده ربًا مُستحقًا للعبادة ، له الأسماء الحسنى والصفاتُ العُلا .

2️⃣ بالإيمان بالملائكة هو : الإيمان بأنهم خلقٌ من خلقِ الله ، وأنّ منهم من يَنزلُ بالوحي على رسل الله .

3️⃣ بالإيمان بالكتب هو : الإيمان بأن الله أنزل على من شاء من أنبيائه كُتبًا هي كلامه ، ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأنها كلَّها منسوخةٌ بالقرآن .

4️⃣ بالإيمان بالرسل هو : الإيمان بأن الله أرسل إلى الناس رسلاً منهم ليأمروهم بعبادة الله ، وأن خاتمهم هو محمد ﷺ .

5️⃣ بالإيمان باليوم الآخر هو : الإيمان بالبعث في يومٍ عظيمٍ هو يوم القيامة لمُجازاة الخلق ؛ فمن أحسنَ فله الحسنى وهي الجنّة ، ومن أساء فله ما عمِل وجزاؤه النار .

6️⃣ بالإيمان بالقدَر هو : الإيمان بأن الله قدَّر كلَّ شيءٍ من خير وشر ، وأنه لا يكون شيءٌ إلا بخلقه ومشيئته .

🔶 ويتعلق وجوبها بالعبد 👈 ابتداءً ،

ووراءَها ما يتعلق وجوبها بالعبد 👈 انتهاءً بعدَ بلوغ الدليل ،

ووراء هاتين الجملتين مالا يكون واجباً ابتداءً ولا انتهاءً ؛ بل يكون من جملة 👈 المستحبّات .

📎 ومثال ذلك : لو قُدِّر أنّ عاميًّا سُئل عن الملائكة فقال : نعم ، نؤمن بهم ، هم خلقٌ من خلق الله فقيل له : هل فيهم مَن اسمُه جبريل؟ فقال : لا أعلم ، فإنّ إسلامَه صحيحٌ لاجتماع قلبه على ما يلزمُه من تصحيح إيمانه بالملائكة ؛ وهو إقرارُه ومعرفته بهم ، فإذا قيل له بعدُ : هو منهم لقول الله تعالى كذا وكذا وقول رسول الله ﷺ كذا وكذا ، وذُكرت له الآيات والأحاديث التي فيها ذِكرُ جبريلَ عليه الصلاة والسلام ، فإن إيمانَه بكونِ أحدِ الملائكة يسمى جبريل يكونُ واجبًا لبلوغ الدليل عليه .

📎 ولو سُئل عاميّ عن الملائكة فقال : نعم ، هم خلقٌ من خلق الله ، فقيل له : أمنْهم جبريل؟ فقال : نعم ، هو منهم في القرآن والحديث الذي نسمعه ولا نحفظه ، فقيل له بعد : هل جبريل يموت أم لا يموت؟ فقال : لا أدري فقُرئ عليه كلام أهل العلم في المنازعة في هٰذه المسألة ودليلُ كل قول فقال : هٰذا شيء لا أعرفه ولا أعلم حقيقته ، فإن إيمانه حينئذ يكون صحيحا غير ناقص ؛ فإن ما يلزمه ابتداءً وانتهاءً قد تحقّق به ، وما وراء ذلك من المسائل المُستغلقة التي يجري فيها النزاع في فروعٍ من مسائل الإيمان فإنّه لا يَرجع على إيمانه بالنَّقص ، وقُلْ مثلَ هٰذا في سائر أركان الإيمان .

المرتبةُ الثالثةُ : الإحسان

ركنٌ واحدٌ ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراكَ .

والدليلُ قولُه تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾[لقمان :22] .

وقولُه تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل :128] ، وقولُه تعالى :﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق :3] ، وقولُه تعالى :﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء :217-220] ، وقولُه تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[يونس :61] .

والدليلُ مِنَ السُّنَّة : حديثُ جبرائيلَ - عليه السلام - المشهور عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : بينما نحن جُلوسٌ عند رسول الله ﷺ ، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب ، شديد سواد الشَّعر ، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر ، ولا يعرفه منَّا أحد ، حتّى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند رُكبَتَيْه إلى رُكبتَيه ، ووضع كَفَّيه على فخذيه ، وقال : يا مُحمَّدُ ؛ أَخْبِرني عَنِ الإسلام .
فقال : « أن تَشْهَدَ أن لا إلَه إلاَّ الله ، وَأنَّ مُحمَداً رَسُولُ الله ، وتُقيمَ الصَّلاة ، وَتُؤْتيَ الزَّكَاةَ ، وتصومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْه سَبيلا» . قال : صَدَقْتَ ، فعجبنا له : يسأله ويُصَدِّقُه .
قال : أخبرني عن الإيمان؟ قال : « أَنْ تُؤْمنَ بالله وَملائكته وَكُتُبه وَرُسُله واليَوْمِ الآخرِ ، و بِالْقَدَرِ خَيْره وَشَرّه» .
قال : صدقت . قال : أخبرني عن الإحسان؟
قال : « أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنّك تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يرَاكْ» .
قال : صدقت . قال : فَأَخْبِرْني عَنْ السَّاعة؟ قال : « مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائل» .
قال : أَخْبِرْني عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قال : « أَنْ تَلدَ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» .
قال : فَمضَى فَلَبثنا مَلِيًا ، فقال ﷺ : « يَا عُمَرُ ، أَتَدْري مَنِ السَّائلُ؟» . قلنا : اللهُ ورسوله أعلَم .
قال : « هذا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أمرَ دينكُمْ» .

📌 الإحسان : 🔷 منه ما يكون مع الخالق

🔷 ومنه ما يكون مع المخلوق ،

👈 والمراد منهما هنا هو الاحسان مع الخالق .

📎 ومُتعلَّقُه : إتقانُ الشيءِ وإجادتُه .

📌 الإحسان في الشرع له معنيان :

1️⃣ عامٌ : وهو الدين الذي بُعث به محمّد ﷺ .

📎 وحقيقتُه شرعًا : إتقان الباطنِ والظاهرِ لله تَعبُّدًا له بالشرعِ المُنزَّل على محمد ﷺ على مَقام المشاهدة أو المراقبة ، وهو بهذا المعنى يجمعُ مراتبَ الدين كلَّها ويقع اسمًا للدين كله .

2️⃣ خاصٌ : وهو إتقان الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة ، وهذا المعنى هو المقصود إذا قُرن الإحسان بالإسلام والإيمان .

🌐 الألفاظ الثلاثة : (الإسلام والإيمان والإحسان)

🖇يقعُ كلّ واحدٍ منها موقعَ الآخرين فيجمع مُتعلَّقاتهما ،

📎 ويقع تارةً أخرى على معنًى مباينٍ لهم ؛

👈فالإسلام تارةً يجمع الإيمان والإحسان وتارة أخرى ينفرد باسم الأعمال الظاهرة ،

👈والإيمان تارةً يجمع الإسلام والإحسان وينفرد تارةً بالاعتقادات الباطنة ،

👈والإحسان تارةً يجمع الإسلام والإيمان وينفرد تارةً بإتقان الاعتقادات الباطنة والأعمال الظاهرة .

🖋 القدر المجزئ من الإحسان مع الخالق يرجع إلى أصلين :

1️⃣💎 إحسانٌ معه في حُكمِه القدَري ، بالصبر على الأقدار .

2️⃣💎 إحسانٌ معه في حكمِه الشرعي ، بامتثال خبره بالتصديق إثباتًا ونفيًا ، وامتثال طلبِه بفعلِ الأمر وترك النّهي واعتقاد حِل الحلال .

💠 أركان الإحسان اثنان :

1️⃣ أحدهما : عبادة الله .

2️⃣ والآخر : فعلُ تلك العبادة على مقام المُشاهدة أو المراقبة .

⁉️ فإن قال قائلٌ : إنهما متلازمان ؛ فعبادة الله تكون بالمشاهدة أو المراقبة ، 👈فجوابُه أن يقال : إنّ منَ الأعمال ما يُفقد فيه المشاهدة أو المراقبة وهو عملُ المُرائي وغيرِه أعاذنا الله من تلك الحال ، فإن العامل يعملُ لله لكن على غير مقام المشاهدة والمراقبة .

🖋 قول المصنّف : (الإحسَانُ رُكنٌ وَاحدٌ) أي شيءٌ واحد ، نصّ عليه ابن قاسم العاصمي ، لأنّ اسم الركن لا يصدُق على الشيء إذا كان واحدًا ، فوجب حملُ كلامه على هذا المعنى .

الأصلُ الثالثُ : معرفة نبيِّكُمْ محمد ﷺ

وهو محمدُ بنُ عبد الله بن عبد المطلب بن هاشمٍ ، وهاشمُ مِنْ قريش ، وقريشٌ مِنَ العربِ ، والعربُ مِنْ ذرّيّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ، عليْهِ وعلى نبيِّنا أفضلُ الصّلاةِ والسَّلامِ .

ولِهِ مِنَ العُمْرِ ثلاثٌ وستُّونَ سنةً ، منها أربعون قبل النُّبُوَّة ، وثلاثٌ وعشرون نبيّا رسولا .
نُبِّئَ بـاقرأ وأُرْسِلَ بـالمدّثّر ، وبلدُهُ مكّة .

بعثَهُ اللهُ بالنِّذَارَة عن الشِّرك ، ويدعُو إلى التَّوحيد .
والدليلُ قوله تعالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر :1-7]
ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عن الشرك ويدعُو إلى التّوحيد ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي : عَظِّمْهُ بالتَّوحيد ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي : طَهِّرْ أعمالَكَ عنِ الشِّرك ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ : الأصنامُ ، وهجرُها تَرْكُها وأهلِها ، والبراءَة منها وأهلِها ، وعَدَاوَتُها وأهلِها ، وفِراقُها وأهلِها .

النبيُّ في الشرع يطلق على معنيين :

1. عامٌ : وهو رجلٌ إنسيٌّ حرٌّ أُوحيَ إليه وبُعث إلى قوم ، فيندرج فيه الرسول .
2. خاصٌ : وهو رجلٌ إنسيٌّ حرٌّ أُوحيَ إليه وبُعث إلى قوم مُوافقين ، فلا يندرج فيه الرسول .

أصولُ ما يجب من معرفة الرسول ﷺ أربعة :

1. معرفة اسمه : (مُحَمَّدٌ) دونَ بقية نَسَبه ؛ لأنّ الجهل باسمه مؤذنٌ بالجهل بوَصفه وهو الرّسالة وبما بُعث به وهو الدين ، وكان يقومُ مقامَه في حياته معرفةُ صفة خلقَته والإشارة إليه ، فلمّا فُقد بموته ﷺ بقي دليلا عليه اسمهُ الذي سمّي به وهو (مُحَمَّدٌ) لأن معرفة ما يتعلّق بأحد من الأحكام تتّصل بالتسمية .

ولهذا فإنّ تسمية المولود واجبةٌ للإجماع على ذلك ، نقلَه أبو محمّد ابن حزم ، فالحقوق التي للعبد والواجبات التي عليه لا تتميز إلا بمعرفة اسمه .

2. معرفة أنّه عبدُ الله ورسولُه ، اختارَه الله واصطفاه منَ البشر وفضَّله بالرسالة ، فهو خاتمُ المرسلين .
3. معرفة أنّه جاءنا بالبيِّنات والهُدى ودين الحق .
4. معرفة أنّ الذي دلَّ على صدقه وثبتَتْ به رسالتُه هو كتابُ الله .

وحيُ البعث الذي يصطفي به الله من يشاء من عباده نوعان :

1. وحيُ نبوة .
2. وحيُ رسالة ، وهي درجةٌ أعلى من النبوة .

📝 ومعنى قول المصنِّف : (نُبِّئَ بِـ(اقرأ) ، وأُرسِلَ بِـ(المُدَّثِّر)) :

أي ثبت كونُه نبيا بإيحاء الله إليه بما أُنزل عليه من صدرِ سورة (اقرأ) ، ثمّ لمّا أُنزلت عليه سورة (المُدَّثِّر) وفيها بعثُه ﷺ إلى قومٍ مخالفين من المشركين ، علم كونُه ﷺ رسولا .

📌 المقصودَ من بعثة النبي ﷺ أمران :

1. النِّذارة عن الشّرك ، ولفظُ الإنذار مشتملٌ على التحذير والترهيب .
2. الدّعوة إلى التوحيد ، ولفظ الدعوة مشتملٌ على الطّلب والترغيب .

👈 فقولِه : ﴿قُم فَأَنذِر﴾[المدثر : ٢] دالٌّ على الأول ؛ لأنّه أُمر بالنِّذارة من كلّ ما يُحذر ، وأعظم ما يُحذر ويُتخوَّف على العبد منه هو الشرك .

👈 وقوله : ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّر﴾[المدثر : ٣] دالٌّ على الثاني ؛ فإن التكبيرَ هو التعظيمُ والإجلال ، وأبلغُ ما عظّم الله به هو توحيدُه .

📎 وتفسير المصنِّف قوله : ﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّر﴾[المدثر : ٤] بقوله : (أي طَهِّرْ أعمَالَكَ عَن الشِّرك) ، هو قولُ أكثر السلف كما حكاه ابن جرير الطبري ، ومأخذه صحيح لِمَا فيه من ملاحظة السياق الوارد ؛ فتفسيرُ الثيابِ بالأعمال الملابسات أصحُّ منْ تفسيرِها بالأردية الملبوسات رعايةً لما دلّ عليه سياق الآيات .

📌 أصول هَجر عبادة الأصنام أربعة :

1. تركُها وترك أهلِها .
2. فراقُها وفراق أهلِها ، والفراقُ قدرٌ زائدٌ على الترك ؛ لأنّ المفارق مُباعدٌ .
3. البراءة منها ومن أهلِها .
4. عداوتها وعداوة أهلِها ، وفيه زيادة عن سابقِه ؛ فإظهارُ العداوة فعلٌ خارجيٌّ زائدٌ عن البراءة التي هي من عمل الباطن .

📎 وهذه الأصول لا تختصّ بعبادة الأصنام ؛ بل هي أصول هجر كلّ معبودٍ يُعبد من دون الله عز وجل .

أخذَ على هذا عشْرَ سنينَ يدعُو إلى التوحيدِ ، وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ ، وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينة .

والهجرةُ فَريضةٌ على هذه الأمّة منْ بَلَد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ .
والدليلُ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء :97-99] ، وقوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت :56] .
قال البَغَويُّ رحمه اللهُ : « سببُ نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكّةَ لم يهاجرُوا ؛ ناداهُم اللهُ باسم الإيمان» .
والدليلُ على الهجرةِ من السنَّةِ قولُه ﷺ :«لا تَنْقَطِعُ الهِجرَةُ حتَّى تَنْقطعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا» .

فلمَّا استقرَّ بالمدينة أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ ؛ مثلُ الزكاةِ والصّومِ والحجِّ والأذانِ والجهادِ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلام .
أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ ، وبعدَها تُوُفِّيَ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ- ودينُه باقٍ .

وهذا دينُه ، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليه ، ولا شرَّ إلاَّ حَذَّرَها منه .
والخيرُ الذي دلَّهَا عليْه : التَّوحِيدُ ، وجَميعُ ما يُحبُّهُ اللهُ ويرضاهُ .
والشَّرُّ الذي حَذَّرَها منه : الشركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ .

📌 الهجرة شرعًا : تركُ ما يكرهُه الله ويأباه إلى ما يحبُّه ويرضاه ، وهي ثلاثة أنواع :

1. هجرةُ عمل السوء ؛ بترك الكفر والفسوق والعصيان .
2. هجرةُ بلد السوء ؛ بمُفارقته والتحَوُّل عنه .
3. هجرةُ أصحاب السوء ؛ بمُجانبة من يُؤمر بهجره من الكفّار والمبتدعة والفساق .

📌 الهجرةُ من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبةٌ على من اجتمع فيه أمران :

1. عدمُ القدرة على إظهار الدين . 📎 فمَن كان قادرا على إظهار دينه فالهجرة في حقِّه مستحبّة .
2. القُدرة على الخروج من بلد الكفر ، فمن عجَز عنها عُذر لعجزِه .

🖊 وإظهارُ الدين هو : إعلان شعائرِه وإبطال دين المشركين .

📎 نصّ على هذا جماعة من المحقّقين ، منهم عبد اللطيف وإسحاق (ابنا عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب) وحمَد بنُ عتيق ومحمّد بن إبراهيم آل الشيخ وعبد الرحمن بن السعدي في آخرين .

📖 قول المصنف : "قَالَ البَغَوِي..." :

🔶 العبارة المذكورة ليست نصَّ كلامِ البَغوي بل معنى ما نقلَه عن جماعة من السّلف في تفسيرها ؛ فـ(قَالَ) هنا بمعنى (ذَكَر) ، ومِن عادة المصنف التعبير بـ(قَالَ) في مقام (ذَكَر) ، وكأنّه يفعل هٰذا فيما يكتبه من حِفظه .

🔶 لم يثبُت كونُ المذكور سببًا لنزولها إلا أن يكونَ المرادُ بالسبب ما يَجري مجرى التفسير ؛ فإن من أهل العلم من يعبِّر بهذا ويكون مرادُه : (وتفسيرُ الآية يتعلَّقُ بالمُسلمين الذين بمكّةَ لَم يُهاجروا ناداهُم الله باسم الإيمان) .

📖 والحديث الذي أورده المصنف بقوله : "وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجرَةِ مِنَ السُّنَّة قَولُهُ ﷺ : (لا تنقطع الهجرة...) "

🔶 هو حديثٌ حسنٌ رواه أبو داوودَ مِن حديثِ مُعاوية بنِ أبي سفيان رضي الله عنه .

📖 قال المصنّف : (وَهَذَا دِينُهُ ، لاَ خَيرَ إلاَّ دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيه ، وَلاَ شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا عَنهُ) .
ثُم بيَّنَ الخيَر والشرَّ فقال : (وَالخَيرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيهِ : التَّوحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ . وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا عَنهُ : الشِّركُ وَجَمِيعُ مَا يَكرَهُهُ اللهُ وَيَأبَاهُ) .

💎 والتوحيد مِن جُملة مَحبوبات الله ومَراضيه ، والشِّرك من جُملة مكروهات الله ومَباغِضه ، وأُفرِدا بالذِّكر تعظيمًا لهما .

بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّةً ، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلينِ : الجنِّ والإنسِ ، والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف :158] .

وأكمَلَ اللهُ له الدينَ .

والدليلُ قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة :3] .

والدليلُ على موتِهِ ﷺ قولُهُ تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(30)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر :30-31] .

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ . والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه :55] ، وقولُهُ تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(17)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح :17-18] .

وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ . والدليلُ قولُهُ تعالى :﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم :31] .

ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ .

والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن :7] .

📖 قول المصنف -رحمه الله- : "بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّة" :

👈 أي إلى الجنّ والإنس ؛ فإنّ اسم 'الناس' يشمَل الجنَّ والإنسَ ، وأصله مأخوذٌ من النَوس وهو الحركة والاضطراب ، وهو وصفٌ موجودٌ فيهما ، وبيَّنه المصنف بقوله : (وَافتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَينِ الجِنِّ وَالإِنسِ) .

📌 البعثُ في الشّرع هو : قيامُ الخَلق إذا أُعيدت الأرواح إلى الأبدان بعدَ نفخةِ الصّور الثانية .

📌 الحسابُ في الشرع : عدُّ أعمالِ العبد يوم القيامة .

📌 الجزاءُ هو : الثواب عليها بالنعيم المقيم ، ودارُه الجنّة ، أو بالعذاب الأليم ودارُه النّار .

📖 قول المصنّف -رحمه الله- : " والدليل قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ لِيَجزِيَ الَّذينَ أَساءوا بِما عَمِلوا وَيَجزِيَ الَّذينَ أَحسَنوا بِالحُسنَى﴾ [النجم : ٣١]" :

👈 دلالة الآية على الأمرين من وجهين :

1️⃣ دلالتُها على الجزاء بالمُطابقة في قوله : ﴿لِيَجزِيَ﴾

2️⃣ دلالتُها على الحساب باللُّزوم ؛ فإنّ العبد يُحاسَب ثمّ يُجزى سوى مَن استثناه الله -عز وجلّ- ممّن يدخلُ الجنّة بلا حساب ولا عذاب .

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ .
والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء :165] .
وأولُهُمْ نوحٌ ، وآخرُهُم محمدٌ -عليهم الصلاةَ والسلامُ- وهو خاتمُ النَّبيينَ لا نبيَّ بَعْدَهُ .
والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[الأحزاب :40] .
والدليلُ على أنَّ نوحاً أوَّلُ الرُّسُلِ قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[النساء :163] .

وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً منْ نوحٍ إلى محمد -عليهما الصلاة والسلامُ- يأمُرُهُمْ بعبادة الله وحدَهُ ، ويَنْهَاهُمْ عنْ عبادَة الطاغوت .
والدّليلُ قولُهُ تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل :36] .
وافترضَ اللهُ على جميعِ العباد الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ بالله .
قال ابنُ القيمِ – رحمهُ اللهُ تعالى – : « معنى الطاغوت ما تجاوزَ به العبدُ حدَّهُ منْ معبود ، أو متبوع ، أو مطاع » .
والطواغيتُ كثيرونَ ، ورؤوسُهُمْ خمسةٌ : إبليسُ – لعنَهُ اللهُ – ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ ، ومَنِ ادَّعى شيئًا منْ علمِ الغيْبِ ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَة نفسه ، ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ .
والدليلُ قولُهُ تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة :256] .
وهذا هو معنى (لا إلـه إلا الله) ، وفي الحديث : «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ ، وعمودُهُ الصَّلاةُ ، وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ الله» .

والله أعْلَمُ ، وصلى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

📖 قال المصنف -رحمه الله- : (وَأَرسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) .

👈 فبعثُهم يتضمّن أمرين : 1 البشارة لمن أطاعهم بالفلاح في الدنيا والآخرة .
2 النِّذارة لمن عصاهم بالخُسران في الدنيا والآخرة .

📖 ثم ذكر المصنِّف مسألتين : 1 أن أوّل الرسل هو نوح عليه الصلاة والسلام .
2 أن آخرَهم هو محمد ﷺ .

🔶 وقدَّم دليلَ المسألة الثانية على الأولى لجلالتها .

🔶 وأوليّة نوح مُستفادة من الآية بتقديم ذكره في الإيحاء إلى النبيّين ، والإيحاءُ الذي قُدِّم فيه نوحٌ على من بعده هو إيحاءُ الرسالة ، وأمَّا إيحاءُ النبوة فتقدّمه أبوه آدم اتّفاقًا ، وإدريس في أصح القولين عند أهل العلم ،

📎 وأبينُ من هذه الآية حديثُ أنس في الصحيحين وهو حديث الشفاعة الطويل ، وفيه قوله ﷺ لما ذكر آدم أنه قال : «ائْتُوا نوحًا فإنَّهُ أوَّلُ رسولٍ أرسَلَه اللهُ إلى أَهْلِ الأَرْضِ» .

✒️ دعواتُ الأنبياء والرسل تجتمع في أصلين : 🔶 الأمر بعبادة الله ، المتضمِّنُ النهيَ عن الشركِّ .

🔶 الأمر باجتناب الطاغوت ، المتضمِّنُ النهيَ عن عبادته .

👈 واجتنابُه يتحقّق بالكُفر به .

📖 ذكر المصنّف قوله تعالى : ﴿وَلَقَد بَعَثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطّاغوتَ﴾ [النحل : ٣٦] دليلاً على عموم الرسالة وبيانًا لما دعت إليه الأنبياء ؛

📌 فالآية تدلُّ على أمرين : 1 عمومُ بَعث الرسل في الأمم ؛ فما من أمّةٍ إلا خَلا فيها نذيرٌ .

2 بيان ما دعت إليه الأنبياء منَ الأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت .

📌 العُروة : ما يُتعلَّق ويُستمسَك به .

📌 والوُثقى : مُؤنث الأوثَق أي الأقوى .

📌 فصمُ الشيء : كسرُه من غيرِ أن يَبينَ من محلِّه فينكسرُ ولا ينقطع ، فإذا انقطع سُمِّي قَصمًا .

📎 فالفرق بين الفصم والقصم أن الفصمَ كسرٌ بلا انقطاع والقصمَ كسرٌ بانقطاع

✒️ الطاغوت له معنيان :

1 خاصٌ وهو : الشيطان ، وهو المُراد عند الإطلاق في القرآن .

2 عامٌ : وهو الذي أراده ابن القيم بقوله : (مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبدُ حَدَّهُ من مَعبُودٍ ، أَو مَتبُوعٍ ، أَو مُطَاعٍ) ، وهذا أحسنُ ما قيل في حده العام ، ذكرَه عبد الرحمٰن بنُ حسن في (فتح المجيد) وصاحبه سليمان بن سحمان .

📖 وأشار المصنّف إلى معنى الطاغوت الخاص وبعضِ أفراد المعنى العام في قوله : (وَالطَّوَاغيتُ كَثيرُونَ ، وَرُؤُوسُهُم خَمسَةٌ : إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ . .) إلى آخره ، 📎 والمُراد بالرؤوس : أعظمُهم شرًا وأشدُّهم خطرًا .

✒️ جماع أنواع الطواغيت ثلاثة : 1 طاغوت عبادة .

2 طاغوت طاعة .

3 طاغوت اتباع .

ذكره سليمان بن سحمان ، وهو مستفادٌ من كلام ابن القيم في معنى الطاغوت .

📌 والكفرُ بالطاغوت والإيمان بالله هو حقيقةُ : ﴿لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ﴾ المتضمنّةُ النفيَ والإثباتَ كما تقدّم ؛

👈 فنفيُها هو الكفرُ بالطاغوت وإثباتُها هو الإيمانُ بالله ، وهذه هي حقيقةُ الإسلام ؛

👈 فإنَّ حقيقةَ الإسلام : استسلامُ العبد لربّه سبحانه وتعالى ، ولا يتحقّق استسلامُه حتّى يكفرَ بالطاغوت .

📖 وقوله ﷺ : «رَأسُ الأَمرِ الإِسلاَمُ . . » الحديث رواه الترمذي وغيُره من حديث مُعاذ بن جبل ويأتي في الأربعين النووية ، ومعناه أن رأسَ إخلاصِ الدينِ لله هو الاستسلامُ لله بالتوحيدِ المتضمّنُ الكفرَ بالطاغوت .